بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

بقي من الباب العاشر في النهي عن الصفة عن الله (تبارك وتعالى) هذه الرّواية الشريفة:

الحديث الثاني عشر[١]: عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ أَوْ عَنْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سِنَانٍ : عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ : قَالَ : « إِنَّ اللهَّ عَظِيمٌ رَفِيعٌ، لَايَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلى صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »[٢] وَلَا يُوصَفُ بِكَيْفٍ، وَلَا أَيْنٍ وَحَيْثٍ، وَكَيْفَ أَصِفُهُ بِالْكَيْفِ وَهُوَ الَّذِي كَيَّفَ الْكَيْفَ حَتّى صَارَ كَيْفاً، فَعُرِفَتِ الْكَيْفُ بِمَا كَيَّفَ لَنَا مِنَ الْكَيْفِ؟! أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنٍ وَهُوَ الَّذِي أَيَّنَ الْأَيْنَ حَتّى صَارَ أَيْناً، فَعُرِفَتِ الْأَيْنُ بِمَا أَيَّنَ لَنَا مِنَ الْأَيْنِ؟! أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِحَيْثٍ وَهُوَ الَّذِي حَيَّثَ الْحَيْثَ حَتّى صَارَ حَيْثاً، فَعُرِفَتِ الْحَيْثُ بِمَا حَيَّثَ لَنَا مِنَ الْحَيْثِ؟! فَاللهَّ (تَبَارَكَ وَتَعَالى) دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَخَارِجٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ « لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ » لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ « وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ».

يوجد في هذه الرواية الشريفة مطلبان:

المطلب الأوَّل: حيث قال (عليه السلام) في صدرها: **(إِنَّ اللهَّ عَظِيمٌ رَفِيعٌ، لَايَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلى صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ)**.

وورد في رواية معتبرة أخرى[٣]: **مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ : « إِنَّ اللهَّ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ ؛ فَأَنْزَلَ اللهَّ تَعَالى « قُلْ هُوَ اللهَّ أَحَدٌ » وَالْآيَاتِ مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ إِلى قَوْلِهِ : « وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَقَدْ هَلَكَ ».**

---

[١] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالى:١/ ٢٥٤/ ح١٢.

[٢] سورة الأنعام، آية ٦، صفحة ١٠٣.

[٣] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النسبة:١ / ٢٣٠/ ح٣.

كلمة **(أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ)** عندما نقارنها بقوله (عليه السلام): **(لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ)** من خلال الجمع بين الروايتين يكون ظاهر هذه الرّواية الشريفة **(عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ)** بمعنى أنَّ تراكم المعرفة، حيث أنَّ الزمن كلما مرَّ تكثّرت العلوم وتكثّرت المعارف وتعددت الزوايا، فمن الطبيعي أنّه نتيجة مرور الزمن وتراكم العلوم وتراكم المعارف أن ينحو الإنسان في فهمه منحى التعمّق والتدقيق والمزيد من التّأمُّل، فهذه الصفة وهي صفة التعمّق ليست في مقام المدح ولا في مقام الذَّم، يعني لا أنّها صفة ممدوحة في حدِّ ذاتها، ولا أنّها صفة ذميمة في حدِّ ذاتها، وإنَّما المقصود أنّه من الطبيعي أنَّ مرور الزمن موجبٌ لتراكم المعارف وتزايد العلوم، فمن الطبيعي أن يوجد أقوامٌ مُتَعَمِّقُونَ، بمعنى أنّهم ينالون المعارف عن طريق التدقيق وعن طريق المزيد من التّأمُّل، غاية ما في الباب أنَّ الله (تبارك وتعالى) وضع حدودًا لهذا التعمّق، ووضع منهجًا لهذا التعمّق، أي أنَّ التعمّق في معرفته (تبارك وتعالى) له حدٌّ، هذا الحدُّ لا يمكن للإنسان أن يبلغ كُنْهُ حقيقته (تبارك وتعالى)، فلا يعقل أن يحيط المحدود باللا محدود، ولا يعقل أن يصل الإنسان إلى كُنْهُ ذاته، وإلى أن يبلغ كُنْهَ عظمته، هذا حدٌّ للتعمّق.

إذن: مقتضى هذا الحدّ أن يفصّل بين ذاته وبين صفاته (تبارك وتعالى)، كُنْهُ ذاته وحقيقته العينية لا يمكن أن يصل إليها الذهن، ولا يمكن أن يحيط بها، وأمّا التّأمُّل في صفاته بما لها من آثار لا التّأمُّل في صفاته من حيث أنّها عين ذاته، وإلّا رجع الكلام هو عدم القدرة، يعني عدم قدرة المحدود على إحاطته بصفاته من حيث أنّها عين ذاته، وإنَّما المقصود أنّه التّأمُّل في صفاته تبارك وتعالى بما هي منشأٌ لآثاره وبما هي منشأٌ ومبدأٌ لافعاله وعجيب صنعه (تبارك وتعالى).

المطلب الثاني: ركّزت هذه الرّواية على ما يتصوّره الإنسان في أي صورة، مستحيل للإنسان أن يتصوّر صورة إلَّا بكيف أو أين أو حيث، يعني لا يمكن للإنسان أن يتصوّر في ذهنه صورة إلَّا وهي محدودة بأحد هذه الحدود، إمّا كيف، بالنتيجة يتصوّر صورة ذو صفة معيّنة، أو يتصوّر صورة في مكان معيّن، أو يتصوّر صورة بحيثٍ معيّن، فمستحيل أنَّ الإنسان يتصوّر صورةً بدون كيفٍ أو أينٍ أو حيثٍ، وبما أنَّه دائمًا تصوّر الإنسان للصور إمّا بكيفٍ أو أينٍ أو حيثٍ، ذكرت الرّواية أنَّ الله لا يوصف لا بكيفٍ ولا بأينٍ ولا بحيثٍ، يعني أنَّ أيَّ صورة تتصورها عن الله فهي من صورة المخلوق لا من الخالق، فأيَّ صورةٍ تتصورها فهي من صنع ذهنك ومن خلق عقلك، وبالتالي هي مخلوقة ولا يمكن أن تكون مرآة عن الخالق، لأنَّ أيَّ صورةٍ

تنتزعها فهي لا بدّ لها من كيفٍ أو أينٍ أو حيثٍ، لذلك قال (عليه السلام) : (**لَا يُوصَفُ بِكَيْفٍ، وَلَا أَيْنٍ، وَلا حَيْثٍ**)، لماذا؟

بيّن ذلك: (**وَكَيْفَ أَصِفُهُ بِالْكَيْفِ وَهُوَ الَّذِي كَيَّفَ الْكَيْفَ حَتّى صَارَ كَيْفاً، فَعُرِفَتِ الْكَيْفُ بِمَا كَيَّفَ لَنَا مِنَ الْكَيْفِ**) والكيف هو صفة الشيء من حيث عَرَضه كعلمه وقيامه وقعوده (تبارك وتعالى)، أي صفة الجسم، فالكيف صفة الجسم من خلال الأعراض التي تطرأُ عليه، فالذي أعطى الكيف صفة الكيفوفة هو الله (تبارك وتعالى)، والذي أعطى الكيف صفة الكيفوفة حتّى عرفناها بهذه الصفة هو الله (تبارك تعالى)، فكيف يوصف بما هو من مخلوقاته تبارك وتعالى؟

(**أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنٍ**) والأين كون الشيء في المكان (**وَهُوَ الَّذِي أَيَّنَ الْأَيْنَ حَتّى صَارَ أَيْناً، فَعُرِفَتِ الْأَيْنُ بِمَا أَيَّنَ لَنَا مِنَ الْأَيْنِ**) فعُلقةُ الشيء بالمكان تسمّى أين، هذه العُلقة من إبداعه (تبارك وتعالى)، هو الذي صنع العُلقة وهو الذي حدّها بكونها أينًا، فإذا كان هو الذي صنع العُلقة وحدّها بكونها أينًا ولولا صنعه وتحديده لما عرفت أنّها أينٌ فهي من صنعه، فإذا كانت من صنعه فكيف يوصف بما هو من صنعه؟

(**وَهُوَ الَّذِي حَيَّثَ الْحَيْثَ حَتّى صَارَ حَيْثاً، فَعُرِفَتِ الْحَيْثُ بِمَا حَيَّثَ لَنَا مِنَ الْحَيْثِ**) والحيث هو عبارة عن الحدّ المحيط بكلِّ شيء، يعني لا يوجد شيء إلَّا وهو محاط بحدٍّ، لا يوجد شيء إلَّا وهو محدودٌ بحدٍّ، فمحدودية كل شيء بحدٍّ هو عبارة عن تحيّثه بالحيث، هو الذي جعل للأشياء حيثاً وحدًّا ولولا جعله الحدَّ والحيث لما عرفنا معنى الحدَّ والحيث، إذن هو من صنعه ولا يوصف بما هو من صنعه تبارك وتعالى.

(**فَاللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالى – دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَخَارِجٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**)، وهذه العبارة ورد ما يشبهها عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : (**داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة**)[٤] والمقصود بها هو ليس داخل ولا خارج، أي المقصود بها الإحاطة والقيموميّة، يعني لا يعزب عن إحاطته وقيموميّته شيء، فمقتضى ربوبيّة ربُّ العالمين تبارك وتعالى أنَّ كل شيء هو تحت إحاطته وتحت قيمومته، قال تعالى: (**وَما قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ**

---

[٤] شرح الأسماء الحسنى ، للحكيم السبزواري : ج ٢ ، ص ٩٦.

وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[٥].

فكلُّ شيءٍ خاضع لقيمومته (تبارك وتعالى)، فهو من حيث التعبير عن إحاطته وقيموميته يقول: داخل وخارج، يعني لا تعزب عنه الأشياء تبارك وتعالى (**لَاإِلهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ « وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**).

الباب الحادي عشر: بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ.

ولكن قبل أن ندخل في الرّواية الأولى والرواية الثانية، هناك عدّة روايات في هذا الباب نُقلت عن هشام بن الحكم وهشام بن سالم، أنهما يقولان بأنَّ لله جسمًا.

ففي الرّواية الرابعة[٦]: (**مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ ، قَالَ : وَصَفْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَحَكَيْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ ، أَنَّهُ جِسْمٌ**) يعني أنَّ الله جسم (**فَقَالَ عليه السلام: « إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَايُشْبِهُهُ شَيْءٌ ، أَيُّ فُحْشٍ أَوْ خَناً**[٧] **أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ ، أَوْ بِخِلْقَةٍ ، أَوْ بِتَحْدِيدٍ وَأَعْضَاءٍ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً**).

وصفت لأبي إبراهيم أي الإمام الكاظم (عليه السلام) قول هشام بن سالم وحكيت له قول هشام بن الحكم أنّه جسم يعني أنَّ الله جسم فقال (عليه السلام) إنَّ الله تعالى لا يشبهه شيء أي فحش أو خنن أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة

فكأنّما الإمام (عليه السلام) يتعرّض ببيان لاذع لما نسب للهشامين هشام بن الحكم وهشام بن سالم مع أنهما من أجلّة الأصحاب، لذلك قال: (**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَايُشْبِهُهُ شَيْءٌ، أَيُّ فُحْشٍ أَوْ خَناً أَعْظَمُ مِنْ قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ ، أَوْ بِخِلْقَةٍ ، أَوْ بِتَحْدِيدٍ وَأَعْضَاءٍ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً**).

---

[٥] سورة الزمر، آية ٦٧، صفحة ٤٦٥.

[٦] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٧/ ح٤.

[٧] في شرح المازندراني : « الخنا : الفحش والفساد . والعطف يقتضي المغايرة . ولعلّ الثاني أغلظ من الأوّل ، والشكّ من الراوي أيضاً محتمل » وانظر : لسان العرب ، ج ١٤ ، ص ٢٤٤ (خنو) .

وفي الرواية الخامسة[٨] يقول: **(كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْجِسْمِ ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ)** يعني كإنَّما هشام بن الحكم يقول بالجسم وهشام بن سالم يقول بأنَّ له صورة وإن لم يكن جسماً **(فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : دَعْ عَنْكَ حَيْرَةَ الْحَيْرَانِ)** كإنَّما هما في مقام حيرة **(وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهِشَامَانِ)**.

لكن علماءنا (رضوان الله تعالى عليهم) يعتبرون أنَّ هشام بن الحكم وهشام بن سالم من أجلّة الرواة وأجلّة الأصحاب، فكيف هذه الروايات تنسب إليهما القول بالجسميّة أو القول بالصورة بحيث أنَّ الإمام (عليه السلام) تعرّض لقولهما وفنّد ذلك ووصفه بأنَّه أيُّ فُحشٍ وأيُّ خنن أعظم من أن يقال إنَّ لله جسم أو إنَّ لله صورة.

لذلك العلّامة المامقاني (قدّس سرّه) في تنقيح المقال[٩] وغيره تعرّض لهذه النقطة وهي الحكاية عن الهشامين بأنهما يقولان إنَّ لله جسمًا، أو إنَّ لله صورة، فذكر عدّة توجيهات لهما، وهذه التوجيهات منشأها أنَّه بالعكس هناك روايات تعظمهما وتجلهما وتظهر من علو مقامهما خصوصًا هشام بن الحكم الذي كان مدافعاً عن مذهب أهل البيت وكان يناظر الفرق والتيارات المنحرفة في زمانه فكيف يوصف بهذه الأوصاف، لذلك ذكر عدّة وجوه للدفاع عنه.

الوجه الأوَّل: إنّا إنَّما قبلنا وأخذنا بقوله لِما شاع عنه، أي عن هشام، واستفاض من تركه القول بالجسم، يعني هو قال بالجسم ثمَّ ترك، الّذى كان يُبصره رجوعه عنه وإقراره بخطأه فيه، وذلك بعد أن حجبه الإمام الصادق عليه السلام، يعني منعه من الدخول عليه، وأنّه قال: والله ما قلت به إلّا لأنّي ظننت أنّه موافق لقول إماميّ، فأمّا إذا أنكره علي فإني تائب إلى الله منه، فأدخله الإمام (عليه السلام) حينئذٍ ودعا له بالخير، كما حكاه العلّامة المجلسي عن الشيخ المفيد (رحمهما الله).

الوجه الثاني: إن جلّ الروايات التي نسبت له القولة بالجسميّة ضعيفةٌ سندًا، مع كثرة الأخبار في ذلك عدى واحدة، ومع هذا، أي حتى لو فرضنا صدق هذه الأخبار، فيمكن ردّها على أنَّه إنَّما قال به من باب

---

[٨] أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٧/ ح٥.

[٩] تنقيح المقال في علم الرجال: ٣/ ٢٩٤، رقم الترجمة: ١٢٨٥٣.

إلزام الخصم، لأنَّه كان في مقام المحاججة والمناظرة مع الخصوم، فالعامّة اَلَّذِينَ يقولون هو شيء لا كالأشياء يقول لهم: إذا أنتم تقولون هو شيء لا كالأشياء، فهو بمثابة القول هو جسم لا كالأجسام، فهو إنَّما قال هذه المقالة في مقام الردّ والمناظرة للعامّة، لا أنَّه يتبنّى ذلك.

الوجه الثالث: أن تكون نسبة القول بالجسميّة إليه لروايته خبرًا دالًّا على الجسميّة، يعني هو روى أخبار ولعل مصدرها العامّة تدلُّ على الجسميّة، فلأنّه روى أخبار تدلُّ على الجسمية نسب إليه القول بالتجسيم.

الوجه الرابع: إن ابن الحكم، يعني هشام كان أَوَّلاً من أصحاب الجهم بن صفوان فهو لم يكن إماميًّا في البداية، ثمَّ تشيّع واستبصر أي انتقل إلى القول بالإمامة بالدلائل والنظر، وليس معنى هذا أي انتقاله للإمامة دفعةً واحدة أنّه قد عرف عقائد الإماميّة وزالت أفكاره التوحيديّة السابقة فورًا، فلعله نُقل عنه ما نقل قبل أن يهذّب عقائده وفي أوائل استبصاره وهدايته.

ثم يقول المحقق المامقاني (أعلى الله مقامه): والعُمدة في المقام أن يقال: إن ترحّم الأئمّة (عليهم السلام) ممن كان بعد هشام كالإمام الرضا والإمام الجواد (عليهما السلام) أدلُّ دليل على أنَّه حين ملازمته للصادقين (عليهما السلام) لم يكن معتقدًا بالجسميّة حتمًا، إمّا لأنَّه لم يكن معتقدًا بذلك أصلًا، أو أنَّه قال بالجسميّة من باب إلزام الخصم وإفحامه، كما عند كافة العامّة.

الآن نأتي إلى الرواية الأولى[١٠] من هذا الباب :

(أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيى ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ) ولولا علي بن حمزة لكان السند عاليًا **(قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَرْوِي عَنْكُمْ: أَنَّ اللهَ جِسْمٌ صَمَدِيٌّ نُورِيٌّ ، مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ ، يَمُنُّ بِهَا عَلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ).**

(فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سُبْحَانَ مَنْ لَايَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »[١١] لَايُحَدُّ ، وَلَا يُحَسُّ، وَلَا يُجَسُّ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا الْحَوَاسُّ ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ ، وَلَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ ، وَلَا تَخْطِيطٌ وَلَا تَحْدِيدٌ) .

---

(١٠) أصول الكافي (دار الحديث) للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ :١/ ٢٥٥/ ح١.
(١١) سورة الشورى، آية ١١، صفحة ٤٨٤.

هذه الرّواية الشريفة تضمّنت عدّة أمور:

الأمر الأوّل: ما نقل عن هشام (**أَنَّ اللهَ جِسْمٌ**) وقد نقل عن الـمُحقِّق الداماد أيضًا وهو من حكماء الشِّيعة أنَّه قال: إنَّ لله جسمًا إلهيًّا، وهذا كما ذكرنا في الجلسة السَّابقة أنّه داخلٌ ضمن النهي عن أن يوصف الله بغير ما وصف به نفسه، وإن كان له توجيه وتأويل ولكنَّه يتنافى مع الروايات الشريفة.

(**أَنَّ اللهَ جِسْمٌ**)، لكن ما هو هذا الجسم؟ ليس جسمًا ماديًّا وليس جسمًا مثلاً برزخيًّا، بل هذا الجسم (**جسمٌ صمدي**)، والمقصود بأنَّه جسمٌ صمدي يعني أنَّ الصمد كما يقال ليس خاليًا كي يكون له استعداد لدخول شيء فيه، وليس مشتملًا على شيء كي يكون له استعداد أن يخرج منه، فالصمد ما ليس خاليًا يعني معدًّا لاستقبال شيء، ولا مشتملًا على شيء كي يخرج منه ما اشتمل عليه.

(**نُورِيٌّ**) والنور هو ما كان منزّهًا عن ظُلَم المواد وقابلياتها، لأنَّ كل مادّة فهي تحمل نوعًا من الظلمة وتستفيد النور من غيرها، فكل مادة تكتسب النور من غيرها، فبما أنَّه نوريٌّ يعني ليس مادّة لأنَّ المادّة ما تكتسب النور من غيرها، وهو نوريٌّ بذاته.

(**أَنَّ اللهَ جِسْمٌ صَمَدِيٌّ نُورِيٌّ ، مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ**) وهذا لا إشكال فيه يمنُّ بها على من يشاء من خلقه، فلا بدّ للإنسان من معرفته، إلَّا أنَّ المعرفة على قسمين: معرفة اكتسابيّة، ومعرفة تفضليّة.

فالمعرفة الاكتسابيّة هي التي يسعى الإنسان إليها، والمعرفة التفضليّة هي التي يمنُّ الله بها على من يشاء من عباده.

الأمر الثاني: الظاهر من العبارة الأولى أنَّ الإمام (عليه السلام) في جوابه تحاشى الردّ على قول هشام بالمباشرة، فقال (عليه السلام): (**سُبْحَانَ مَنْ لَايَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ**)، يعني لا يمكن لأيّ أحدٍ معرفة كنهه، ولازم هذا الكلام بالدلالة الالتزامية أنَّ ما قاله هشام في غير محلّه، لأنَّ هشام أراد أن يصف تلك الحقيقة العينيّة المُعبّر عنها الله تبارك وتعالى، أراد أن يصف ذلك الوجود الأزلي الأبدي، أراد أن يصفه بما لا يقدر على وصفه، لأنَّ المحدود لا يمكنه أن يصف اللا محدود بما هو من كنهه.

فإذن: (**سُبْحَانَ مَنْ لَايَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »**).

الأمر الثالث: نفي الجسميّة عنه (**لَايُحَدُّ ، وَلَا يُحَسُّ، وَلَا يُجَسُّ**) هذه كل صفات الجسم، الجسم محدود، الجسم يحسّ به، الجسم يجسّ أي يلمس، فعندما نقول بأنَّ الله عزّ وجل (**لَايُحَدُّ ، وَلَا يُحَسُّ، وَلَا يُجَسُّ**) يعني نفي الجسميّة عنه بتمام صفات الجسميّة.

الأمر الرابع: استحالة تصوّره فضلاً عن كونه جسمًا، أصلًا يستحيل تصوّره، **(وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا الْحَوَاسُّ)** وقد ذكرنا فيما سبق أنَّ الأبصار في الروايات إشارة إلى البصائر يعني لا يمكن أن تدركه البصيرة، يعني لا يمكن أن يدركه الإنسان بصميم عقله، ولا يمكن أن يدركه الإنسان بلبِّ بصيرته فضلاً عن أن يدركه بالحواس، فهذه إشارة إلى قصور الإنسان وامتناع تصوّره لله تبارك وتعالى.

الأمر الخامس: إشارة إلى قاهريته (تبارك وتعالى)، مرَّ علينا في تفسير هذه الآية المباركة: **(وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ)**[١٢] مقتضى وحدة وجوده قاهريته، لا وجود إلَّا هو، كل شيءٍ سواه فهو موجود بوجوده، فهو الوجود الذي يكون الوجود عينه، لا أنّه شيء له وجود، وليس ما هيّة لها وجود، بل هو نفس الوجود، فما كان عين الوجود وما كان صرف الوجود فهو واحد، لأنَّ كل ما سواه إثنين أي شيء له الوجود، أمّا هو (تبارك وتعالى) ليس شيئين وليس إثنين فهو ليس شيئًا له الوجود، بل هو عين الوجود (تبارك وتعالى)، فبما أنّه عين الوجود إذن هو واحد (تبارك وتعالى)، لأنَّ أيَّ شيءٍ تفرضه فهو إثنان إلَّا هو (تبارك وتعالى)، ومقتضى وحدته قاهريته، ومقتضى أنّه الواحد الذي لا نظير له ولا مثيل له ولا شريك له أنّه قاهرٌ على ما سواه، أي أنَّ كل ما سواه يفتقر إليه فهو قاهر على ما سواه، **(وَ هُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ)** لذلك أشار إلى قاهريته (تبارك وتعالى) بقوله (عليه السلام): (**وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ ، وَلَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ ، وَلَا تَخْطِيطٌ وَلَا تَحْدِيدٌ**) أيُّ إحاطةٍ به تتنافى مع قاهريته للحدود (تبارك وتعالى)، ويأتي الكلام في بقية الروايات إن شاء الله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ الطيبينَ الطاهرين.

---

[١٢] سورة الرعد، آية ١٦، صفحة ٢٥١.